فهرسة المخطوطات العربية في المغرب

د. أ د شوقي بينب (*)

ا ديـث عن فهرسة ا خطوطات ا غرب يسـتوجب ا ديـث أولا عـن مصـادر هـذه ا خطوطـات وعن الطرق ا ختلفة ال عملت على ميعها نسخا واستنساخا وتأليفا وتر ة واقتناء إ أن أصبحت هذا الرصيد الغ الذي تزخر به مكتباتنا والـذي جعل ا غرب الأقصى قبلة الباحث من يع الأصـقاع ـثا عن نوادر ا خطوطات ال قد يعز نظ ها جهات أخرى.

إن هـذا الـتراث ا فوظ اليوم ا غرب تـلف خزاناته يعت شاهدا صر ا على اندماج بلد الـ ابر ا ضـارة العربية منذ القرون الإسلامية الأو . و يكـن مـن ا صادفة شيء العثور مسـجد خـزانة بزو وهي مدينة صغ ة على جبال الأطـلس عـلى النسخة الوحيدة العا لكتاب "ال صان والعرجان والعميان وا ولان" لعا البصرة الكـبـ أ عثمان ا احظ(1). وعلى الرغم من قلة الأخـبار وا علومات عن خزانات الكتب مصادر التاريخ والتراث با غرب فإنه كان للكتاب مكانته هذا البلد.

إن ا سافة ا غرافية والثقافية ال تفصل بـ ا غاربة والشرق الذي يعت منبع حضارة الكتابة ث هؤلاء ا غاربة على إعطاء الكتب وكل شيء مكتوب عناية ومكانة شبه مقدسة تتجلى من خلال حركة الشيوخ الذين ينحدرون مع ورقة مطبوعة أو طوطة تعترضهم طريقهم وحفظها حفرة أو ثقبة حائطية حـ لا تدوسها أقدام ا ارة.

نلاحـظ أن اهـتمام ا غاربـة بالكتاب قد وتقديسـهم للورقة ا كتوبة عريق. فلا غرابة إذن كـون ا غـرب تضن خزانات تضم أهم الأرصدة ا فوظة تلف بلدان الغرب الإسلامي بأكمله.

وإذا أردنـا أن نعطي فكرة عن رصيد التراث العـر ا خطوط ا غرب الوقت الراهن فلا بد مـن ا ديث ولو باختصار عن حالة هذا الرصيد العصور السابقة. إن طبيعة ا خطوطات ا غرب العصور الأو وحـ العهد ا رابطي لا تكاد تلف عن طبيعة ا خطوطات ا شرق.

كـل ا علومات ال أمكن استقاؤها - على ضـآلتها - تنبئ بأن معظم الكتب كانت عبارة عن مصـاحف قرآنية وكتب فقه وحديث، ويدلنا على هـذا تـلكم الأخـبار ا تعلقة باهتمام أمراء الدولة

(*) تقدم د.أ د شوقي بينب ، وهو افظ ا زانة ا لكية بالرباط ذا البحث ضمن أعمال ندوة حول ا خطوطات العربية، أقامتها ا نظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة.

ا ـرابطية بالفقـه ا الكي، ودعوة الفقهاء إ وضع كتب الفروع ا تعلقة ذا ا ذهب.

و يكـن لكـتب ا عارف الأخرى، خاصة كتب الفلسفة والتصوف، مكان ا زانة ا غربية، بـل يعـاقب عقابـا صارما من وجدت عنده هذه الكتب.

يقـول ا راكشـي "ا عجب": "و يكن يقـرب من أم ا سلم و ظى عنده إلا من علم عـلم الفروع، أع فروع مذهب مالك، فنفقت ذلـك الزمان كتب ا ذهب وعمل قتضاها ونبذ ما سـواها.... و دان أهل ذلك الزمان بتكف كل من ظهـر منه ا وض شيء من علوم الكلام. وقرر الفقهاء عند أم ا سلم تقبيح علم الكلام وكراهة السـلف له وهجـرهم من ظهر عليه شيء منه وأنه بدعة الدين... فكان يكتب عنه كل وقت إ الـبلاد بالتشديد نبذ ا وض شيء منه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه"[2].

تعرف ا زانة ا غربية إذن تغ ا تويا ا حـ بداية القرن السادس ا جري الذي عرف اية ا رابط . ولكن مع بداية ا وحدين الذين كانوا أكثر تفـتحا من سابقيهم بدأت كتب الفلسفة والتصوف ـاوز كتب الفقه وا ديث والتفس ا زانات ا اصة والعامة، وليس أدل على هذا من ظهور أك صـوفية ا غرب هذا العهد ووضع أك التآليف وأشهر شروح كتب فلسفة الإغريق. بإيعاز من عبد ا ؤمـن، وضع أبو مروان عبد ا لك بن زهر كتاب "الأغذية". وبدعوة من أم ا ؤمن يوسف بن عبد ا ؤمن ا وحدي، وضع الفيلسوف ابن رشد شروحه ؤلفـات أرسطو. و هذا العهد كذلك ألف ابن الزيات التاد كتاب "التشوف إ رجال التصوف" الذي يعت أك مؤلف عن صوفية ا غرب العصر الوسيط[3].

أمـا العهد ا ري ، فإن كل علوم العصر قد درسـت وألف فيها. ففي جامع القروي يدرس – إ جـانب الفقه والتفس – علوم الرياضيات وعلم الفلك وعلوم أخرى مشا ة. وقد جلبت أو نسخت كـل ا ؤلفـات ال تعا هذه العلوم ا زاد رصيد ا خطوطـات ا غرب تنوعا وغ وحفز العلماء والوجهـاء وا ـلوك إ الـبحث عن ا خطوطات واقتـنائها مهمـا كان الثمن. إنه العهد الذي عرف خلالـه ا غرب أك العقول وأهم الكتب التاريخ وا ضـارة. و تكـن عهـود الشرفاء السعدي والعـلوي بـأقل اهـتماما من هؤلاء مع الكتب ونسخها واستنساخها وجلبها من يع ا هات.

كـان ا نصـور الذه السعدي –مثلا- يأ بالكتب من إصطنبول والقاهرة وشبه ا زيرة العربية وغ هـا مـن البـلدان، وكانت أك وأفخر هدية يتلقاها من سفرائه وأقربائه ووزرائه، تلكم ال تكون عبارة عن كتاب طوط أو كتاب نادر أو مصحف تفظ به خزانته.

و ـا يـدل على اهتمام ا لوك العلوي ذا ا ـانب هو كون جلهم علماء شاركوا البحث

والتأليف والتر ة[4] وقد أسسوا ا زانات ال لعبت أكـ الأدوار ا فاظ على هذا التراث ووضعوا عـلى رأسها عا ا أو قاضيا أو ر ا وزيرا، كما صنع ا ـو إ اعيل حـ ع على رأس خزانته ا اصة الوزيـر الـيحمدي. هذا الاهتمام هو الذي جعل ا ـزانة ا غربية الوقت ا اضر من أهم خزانات العـا غـ با خطوطـات وحفاظا على أصو ا ونفائسها.

وبالإضـافة إ ذلك، يعتقد الباحثون ال ا خطوطـات أن ا غـرب تفظ بعض ا زانات العامـة، ور ـا ضمن الأرصدة ال تفهرس بعد وكذلـك خزانات أخرى خاصة، كتب الإغريق واللاتـ ال نقل بعضها إ العربية وال لا توجد أي بلد عر آخر. و ا يدل على هذا هو اهتمام الباحث الأوروبي ذه الكتب و ثهم عنها بلاد ا غـرب. لقـد أصبح ا غرب اية القرن التاسع عشـر تقريبا البلد العر الوحيد الذي تطأ أرضه بعـد أقدام ا ستعمر، فاعتبارا ذه الوضعية السياسية ونظـرا لاهتمام ا غاربة بالكتاب أصبح ا غرب كعبة الباحـث الذيـن يسعون إ ا صول على ما تعذر العثور عليه من طوطات عربية ومتر ة.

إن عـددا من الوثائق التار ية ال نشر بعضها هنرى دو كستري كتابه: "ا صادر الدفينة لتاريخ ا غـرب"، تؤكد ما ذكرناه سلفا، وعلى سبيل ا ثال لا ا صر فإن الباحث الشرقي "باي العباسي"[5] قد قـدم إ ا غرب وقضى وقتا طويلا خزانة جامع القروي يبحث عن عشريـات تيتوس ليفوس (Tite live) الـذي يعتـ فوظا إحدى خزانات هذا البـلد، وعـلى الرغم من عدم العثور عليه ذلك الوقـت فإن ا ستشرق ليفي بروفنسال الفرنسي[6] الذي ث بدوره عن عشريات ا ؤرخ اللاتي أكد من جهته أن ا ؤرخ ابن خلدون قد قرأ هذا الكتاب تر ـته الكلية أو ا زئية إ العربية واستقى منه الأخبار ا تعلقة بواقعة "كان" (Cannes)، ال جرت سـنة 216 قـبل ا يلاد وهزم خلا ا القرطاجنيون بزعامة "هانيبال" عساكر الرومان برئاسة "فارون".

وإذا خلت اليوم ا كتبات العمومية ا غربية من هذه ا خطوطات، فهذا لا يع أ ا غ موجودة أو أ ـا فقـدت إ الأبد، بل إنه من شبه ا ؤكد أ ا آلـت إ خزانة من خزاناتنا ا اصة العديدة ال لا تـزال هولـة[7] والـ تضم بلا شك خباياها أرصـدة هائـلة من ا خطوطات تكاد تفوق ما هو فـوظ ومفهـرس ومـتداول تلف ا زانات العامة.

إن هذا التراث الغزير الذي مع لدى ا غاربة مـنذ العصـور الإسلامية الأو قد حفظته وصانته مكتبات تلفة كن حصرها أنواع ثلاثة: ا كتبة ا ـلكية، وا كتبات ا اصة، وا كتبات العامة. وقد لعبت كلها دورا بارزا حفظ وتنظيم هذه ا صيلة ا ضـارية ال أفادت الباحث مستشرق وعربا الوقوف على معا الثقافة وا ضارة العربية الإسلامية ا غرب.

إن ا زانة ا لكية الـ تعتـ أول مؤسسة تفصح عـنها كتب التاريخ وا ضارة قد عملت على نسخ ا خطوطـات واستنساخها وتر تها إ لغة الضاد فـتجمع لديها ذلك الرصيد الذي جعل منها، كما قلنا سابقا، أهم خزانة الغرب الإسلامي بأكمله. فبصدد حديثه عن ا ركة الثقافية على عهد الأدارسة نا أبو عبيد البكري ا سالك وا مالك أن عددا كـبـ ا مـن العـلماء والأدباء، أندلسيـ ومغاربة، قصدوا بلاط ا ليفة الإدريسي الرابع وأن كثـ ا مـن الوراقـ كانوا يعملون زانة القصر ينسخون الكتب. "... إنه كان ينسخ له عدد من الوراقـ "[8].

وقـد بـلغت هذه ا زانة مكانة مرموقة على عهد ا رابطـ وا وحدين وعرفت ـوا وازدهارا على عهد ا رينيـ والسعديـ والعلويـ . ـدثنا ا راكشي "ا عجـب" عن ا ليفة ا وحدي يوسف بن عبد ا ؤمـن الـذي كان عا ا ـبا للفلسفة أنه أمر ـمع كتـبها، فاجـتمع له منها قريب ا اجتمع للحكم ا ستنصر با الأموي[9]. "و يزل ـمع الكتب من أقطـار الأندلـس وا غـرب ويبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إ أن اجتمع له منهم ما تمع لمك من قبله ن ملك ا غرب"[10]. و يكن يكتفي هذا ا ليفة ا يقتنيه من كتب، و ا يهدى له منها من طرف السفراء والعلماء والوجهاء، بل كان يـلجأ إ القوة لاحتكار أي خزانة خاصة جاء إ عـه أ ا تضم ـموعة من كتب الفلسفة الـ كان يعشـقها. وقصة السيطرة على خزانة العا "ا ـرا " الـ حدثنا عنها ا راكشي كتابه "ا عجب" أكـ دليل على هذه الظاهرة[11].

وقد بلغت هذه ا زانة أوجها ابتداء من القرن الثامن ا جري حيث كان معظم ملوك ا غرب علماء ـبـ للكـتب، لا يدخـرون وسـعا اقتنائها واستنسـاخها وتر ـتها، للاسـتفادة منها وإفادة الباحـثـ من العلماء وا ؤلفـ الذين كانت تعج م بلاطـا م على مر العصور، ولا تزال ا كتبة ا لكية ا غربية تفظ بالكثـ من ا خطوطات عليها حواشي ا ـلوك وتعليقا م و لكا م أو إشارات إ أوامرهم بـتأليفها برسـم خزانا م ا اصة. وقد جعلوا على رأس هـذه ا كتبات قضاة و وزراء وحجابا، إ انا منهم بدور هذه ا ؤسسات تطوير ا تمع وترقيته. وإذا كانت ا زانة ا لكية خزانة خاصة، فإن الوضع الـذي تتميز به، من حيث توياـ ا وغناها واقتناؤها لنفائس ا خطوطات ونوادرها ودورها العلمي الكبـ الذي أناطت به نفسها منذ ظهور ا لكية ا غرب، جعـلها تتبوأ مكانة يزها عن ا كتبات ا اصة الـ يزت ا البيوتات ا غربية منذ القد .

إن كـتب الـتاريخ وا ضـارة ا غربية تعج بالأخـبار عن هذه ا زانات الـ تزين بيوت الأمراء والوزراء والوجهاء والعلماء والتجار والأغنياء الذين يكن جهل بعضهم ليثنيهم عن البحث عن الكتب ا ميـلة الأنيقة وا زخرفة، وإذا غفل ا ؤرخون عن ذكر بعض هذه ا زائن فإننا نعرفها اليوم ونقيمها من

خلال التملكات الـ لا تزال ماثلة على ظهر الكثـ من ا خطوطات ا فوظة تلف ا زانات.

ولا ـتدليل على ذلك دثنا الإفرا "نزهة ا ـادي" أن الوزير السعدي عبد العزيز الوزكيطي وحـاجب السلطان أ د ا نصور الذهـ كانت له خزانة خاصة تضم سـ ألف طوط، على الرغم مـن مسـتواه العلمي ا توسط، وتدلنا خا ة كتاب "الـدر ا نظم مولد الن ا عظم" أن هذا الكتاب ألف برسم خزانة أم سبتة أ القاسم بن أ العباس العـز . ومـن يـزات هذه ا زانات أ ا كانت مفتوحة وجه الباحثـ من العلماء للقراءة والنسخ وأ ا كانت تسمح بإعارة الكتب.

أما ا كتبات العامة فإ ا بدأت ا غرب على غـرار البلاد ا شرقية داخل ا ساجد، وتتلخص هذه ا كتبات أربعة أنواع: مكتبات ا ساجد، مكتبات ا ساجد ا امعة، مكتبات ا دارس العتيقة، ومكتبات الزوايا.

مكتـبات ا ساجد ظهرت مع ظهور ا سجد ا غرب، وما يته كتبات ا ساجد ا امعة فإ ا تـلكم ا كتـبات الـ أسست بإزاء بعض ا وامع الكـ ى الـ كانت تقوم بدور ا امعة العصر القـد ، وأخص منها بالذكر خزانة جامع القروي الذي يعتـ أقدم جامعة عربية إسلامية، وخزانة جامع ابن يوسف راكش الذي أسسه علي بن يوسف بن تاشـفـ ا رابطي مطلع القرن السادس ا جري، وقـد كان للخزانتـ ، مع ما اثلهما من مؤسسات، دور كـبـ تطويـر الـثقافة و ا فـاظ على ا خطوطات، ولا تزالان إ اليوم تؤديان هذا الدور.

وبـإزاء هـذه ا كتبات توجد مدارس عتيقة، خصوصـا ا دن القد ة كفاس ومراكش، لإيواء الطلاب الآفاقيـ . إن هذه ا ؤسسات الـ كان يقطن فيها الطلبة كانت مزودة كتبات للمطالعة والقراءة، و تكـن مقتصرة على القاطنـ وحدهم بل كانت تـتجاوزهم إ غـ القاطـنـ من طلبة ا ساجد وا عاهد الأخرى[12].

وبالإضـافة إ ذلك بدأت تظهر ا غرب، خصوصـا ابـتداء من القرن العاشر ا جري، زوايا قـامت بـأدوار بارزة سواء تطوير الثقافة أو سبيل ا فاظ على التراث ا خطوط. وعلى الرغم من كـون السـبب الرئيسي إنشاء هذه ا ؤسسات سياسـيا وذلك واجهة الغزو ا سيحي للمغرب منذ القـرن التاسع، فإ ا قد أعطت أكـ العقول وأعظم ا ؤلفـات وأهم ا زانات الـ عرفها تاريخ ا غرب، بـدءا مـن عصر السعديـ ، ولا تزال خزانة زاوية تا روت الناصرية با نوب ا غر تشهد على ذلك. أمـا خـزانة الزاوية الدلائية الـ كاد يتم لزعمائها الاستيلاء على ا غرب بأكمله القرن ا ادي عشر ا جـري فإ ـا كانت حسب ا ؤرخـ مستوى خـزانة ا كـم ا ستنصر الأموي الـ كانت تضم أربعمائة ألف كتاب. دثنا الشيخ عبد ا ي الكتا أن الكـثـ مـن كتب هذه ا زانة قد آل إ خزانة السلطان العلوي ا و الرشيد الذي حبس بعضا منها

على خزانة ا سجد الكب كناس[13].

كمـا آل رصـيد مـنها إ خزانات أخرى كخزانة الزاوية العياشية وخزانة مسجد مدينة "بزو" ال عثر فيها على النسخة الوحيدة لكتاب "ال صان والعـرجان والعميان وا ولان" للجاحظ ت255 هـ.

بعـد هـذا العـرض ا ختصـر عن العوامل والظـروف ال عملت على إنشاء ا كتبات و مع أرصـدة ا خطوطات ا غرب، نرى الآن كيف تنظيمها وفهرستها قد ا وحديثا.

إن كـتب الـتراث وا ضارة ال تش إ خـزانات الكتب إشارات عابرة لا دثنا عن أنظمة هـذه ا زانات إلا نادرا وعندما تتعرض لذلك فإ ا تقتصـر عـلى ذكـر اسم القيم عليها وذكر بعض تويا ا من غ أن تتجاوز ا إ ا ديث عن عملية الفهرسة ال هي موضوع البحث.

وعـلى الـرغم من جهود ا غاربة القدماء اولـة فهرسة ا خطوطات فإ ا لا تعدو أن تكون قوائم و لوائح لا ضع لأي نظام أو ترتيب، والواقع فإن الفهرسة بدأت مع بداية ا زانة ا نظمة ا تمع ا غـر العصـر ا ديث. وأول فهرس من هذا الصـنف، جديـر بالإشارة إليه، هو الفهرس الذي وضـعه ا ستشرق الفرنسي (ألفرد بل Alfred Bel موعة خزانة القروي مطلع هذا القرن.

وسنتتبع الآن الفهارس ال وضعت حـ الآن ختـلف ا زانات ا غربية، حسب التقسيم الثلاثي الذي اقترحناه مقدمة هذا البحث نتبعه ا ديث عـن ا ـناهج ا تبعة الفهرسة وتقييمنا ا تم وقفنا من الفهرسة وبعرض بعض ا قترحات، لتقو هذه العملية التقنية والعلمية آن واحد.

1 – ا زانة ا لكية:

أشـرنا آنفا إ أن ا صادر تفصح عن ذكر فهـارس ا زانة ا لكية إلا ما أشارت إليه من لوائح تفـتقر إ كـل ا واصفات ال تتميز ا الفهرسة ا ديـثة، ويـبقى أن أول اولـة وضعت لترتيب طوطات ا زانة ا لكية[14] وفهرستها تلكم ال قام ـا العلامة مد الفاسي، من خلال البحث الذي نشـره عـام 1964 جلة البحث العلمي بعنوان: "ا ـزانة السـلطانية وبعض نفائسها": بعد مقدمة موجزة عن تاريخ ا كتبات ا غربية عموما و ا كتبات ا لكية خصوصا.

أشـار ا ؤلـف إ الدور الرئيسي الذي لعبته هذه ا ؤسسات حفظ التراث، مع عرض لعدد من نوادر ا زانة يلا على بروكلمان وليفي بروفنسال وحاجي خليفة.

وقـد كان الترتيب الذي وضعه مد الفاسي ذه ا زانة على الشكل التا :

- وصف بعض النوادر والنفائس.
- الس ة النبوية.
- ا غرافية.
- الرحلات.
- الأنساب.

- تاريخ المغرب العر .
- التراجم.
- القرآن الكر .
- القراءات.
- التجويد.
- علوم القرآن.
- التفس .
- الطب.
- علم الفلك.
- الفقه.
- اللغة.
- النحو والصرف.
- العلوم الطبيعية.
- الموسيقى.

وقد نشر مد الفاسي عددا من المقالات نفس المجلة وصف خلا ها هذه المخطوطات ورتبها حسب الفنون المشار إليها أعلاه[15].

وقـد تـلا هذه الأ اث كتاب مد المنو بعـنوان: منتخبات من نوادر المخطوطات، نشر عام 1978 بـتقد مدير الخزانة عبد الر ن الفاسي. حاول الفقيه المنو أن تار من نوادر المكتبة، بعض مؤلفـات الملوك والسلاط ، وما كتبه الأندلسيون والسـودانيون والمشارقة، وما كتب با ط الكو ، وقد ذكر بعض المخطوطات ال ا قيمة ببليوغرافية مـع عرض موجز توى المخطوط. وتشكل الكتب المختارة الفنون التالية:

المصـاحف، التفس ، الحديث، الس ة، الفقه ومـلحقاته، الكلام، اللغة والنحو، الأدب، التاريخ، الأنسـاب، التراجم، الجغرافية والرحلات، السياسة، الرياضـيات، الطبيعيات، الفلاحة، الكيمياء، الفلك والتنجيم، الطب، الموسيقى، علوم متنوعة.

وقد استهل المنو هذا الكشاف قدمة تناول فيهـا موعـة من الوثائق، وهي عبارة عن بيعات سلطانية، وظهائر ملكية أصلية، ومكاتبات ورسائل وتقاييد، تناول الحديث عن الوثائق ال توجد الكنانيش[16].

وقبل هذا العمل المتعلق بالمنتخبات كان الفقيه المـنو قد شرع وضع فهرس شامل لمخطوطات الخزانة الحسنية حسب أرقامها على الرفوف[17] عا فيه 438 مخطوطا.

بعد مقدمة عن المكتبات الملكية بالمغرب، يبدأ المـنو فهرسه الطوبوغرا للمكتبة الحسنية، حيث يذكـر عـنوان الكتاب، رقمه، اسم المؤلف، عدد أوراقه وشكله، وصف الخط، اسم الناسخ إذا وجد، تاريخ النسخ، يش كذلك أحيانا إ كتب التراجم ال تر ت المؤلف والفهارس، والكتب الببليوغرافية الـ ذكر فيها الكتاب، وكذلك إ بعض الخزائن المغربية ال توجد فيها نسخة من المخطوط، كالمكتبة العامـة وخزانة القروي . و تو الفهرس على مسارد أو كشافات لأن صاحبه يتمه، وآخر كتاب ذكره هو شرح الرسالة السمرقندية آداب البحث.

و سنة 1980 نشر مد عبـد ا عنـان

ت 1985 أول فهرسـة للمخطوطات التار ية[18] ا فوظة با زانة ا سنية.

بعـد مقدمـة تعرض فيها ا ؤلف إ حرص مـلوك ا غـرب على ع نفائس الكتب ونوادرها، أشار إ أن عدد كتب التاريخ و الألف وأ ا تعا ا وضـوعات الـتالية: التاريخ العام، تاريخ الشرق العـر ، تـاريخ ا غرب العر ، الس ة والأنساب، التراجم وا ناقب، الرحلات، وأخ ا موعة الوثائق وهـي عبارة عن رسائل سلطانية وإجازات العلماء وظهائر ملكية.

ويضم هذا الفهرس ما جاء كذلك من مؤلفات تار ية ضمن ما يسمى با اميع. وقد عرف ا ؤلف هـذه ا خطوطـات، وذلـك بوصفها وذكر وفاة مؤلفيها واستعراض تويا ا وذكر ما كن ذكره من نظائـرها ا وجودة ا كتبات الأخرى، مع إحالتها عـلى أمكنـتها معـاجم الفهارس العلمية، مثل بروكـلمان والغزيـري (الإسـكوريال) وا تحف الـ يطا والفاتيكان وغ ها، تم بذكر تاريخ ومكـان النشر، هذا إن كان الكتاب قد نشر. وقد سـلك ا فهرس، الترتيب الفهرسي لأ اء الكتب عـلى حـروف ا عجم، الطريقة ا غربية ال تقدم الكـاف والـلام والنون على الصاد والضاد والع والسـ والشـ ، جريا على ما سار عليه الكتاب ا غاربة منذ القد تصنيف فهارسهم الأ دية[19].

وابتداء من سنة 1982 بدأت ا زانة ا سنية بإشراف افظها آنذاك مد العر ا طا ، تصدر فهـارس ا خطوطات، اقتداء بفهرس عبد ا عنان الـذي يعت ا لد الأول ذه الفهارس. وهكذا نشر ا طا عام 1982 فهرس الطب والصيدلة والبيطرة وا يوان والنبات[20].

بعـد مقدمـة تار ية على غرار مقدمة ا لد الأول، تعـرض ا فهـرس للحديث عن العلوم عند ا سـلم ذكـر السـبب الذي دعاه إ تناول طوطا ا بالفهرسة وهو، حسب ما جاء ا قدمة، تلبية لرغبة أكاد ية ا ملكة ا غربية، ومقررات مؤ ر الطب[21] الإسلامي الذي انعقد الكويت شهر يـناير 1981، الـ أوصـت اية هذا ا ؤ ر بتشجيع دراسة الطب الإسلامي ونشر كتبه وإنشاء منظمة إسلامية تع بإحياء العلوم الطبية الإسلامية ال التراث والبحث العلمي.

يضـم مـوع الفهـرس 288 كتابا كن حصرها ثلاثة مواضيع:

1 - كـتب الطب والصيدلة والأغذية وحفظ الصحة.

2- أراجيز ومنظومات الطب والصيدلة.

3- البيطرة وا يوان والنبات.

من بـ كتب الطب: هيو علاج الطب[22] ـنـ ابـن إسحاق، وهو تر ة من السريانية إ العـربية لكـتاب ا ـادة الطبية Materia Medica للطبيب اليونا Dias Coridas. وتقوم الأدوية[23] ليوحنا ابن تيشوع وكتاب الأغذية لأ مروان ابن زهر وغ ها. ومن بـ الأراجيز أرجوزة الطب[24]

) لابـن سـينا وأرجـوزة ابن عزرون ا ميات والأورام وأرجـوزة الفشتا الطب. أما ما ص الـبيطرة والفلاحـة، فـنذكر منها ديوان ا يوان للسـيوطي (911هـ) وكتاب الفلاحة لابن بصال (ت499هـ)[25].

وفـيما ـص وصف ا خطوط، فقد سلك ا فهرس الطريقة الشرقية ترتيب ا روف، فيذكر اسـم ا ؤلـف وعنوان الكتاب وكل ما يدخل فيما يسـمى بالعنوان البيليوغرا ، يذكر بداية و اية ا خطوط، على غرار كشف الظنون اجي خليفة، الزخرفة والتفسـ واسم الناسخ وتاريخ النسخ، إن ذكـر، ا سـطرة والقياس وعدد الأجزاء. وختم الفهرس بأربعة كشافات:

1 – كشاف عناوين ا ؤلفات.

2 – كشاف الأراجيز.

3 – كشاف أ اء ا ؤلفـ .

4 – كشاف الناسخـ .

وكـلها مرتبة ترتيبا ألفبائيا. و كن اعتبار هذا الفهـرس كتابا تاريخ الطب، لأن ا زانة ا لكية تضـم عـددا من النصوص الطبية نقلت العصر الوسيط من العربية إ اللاتينية والعـ ية ودرست جامعـات أوربا، مثل مونبولي بفرنسا وأكسفورد بإ لـترا وليـدن ولندة. و نفس السنة أي عام 1983 ظهر ا لد الثالث من فهارس ا زانة ا سنية وهـو الفهـرس الوصـفي خطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم وا غرافيا[26].

أكـد ا فهـرس مقدمته أنه رج عن الطريقة ال اتبعها ترتيب هذا الفهرس عن النهج الذي اتبعه فهرسة الطب. و تد عصور طوطات هذا الفهرس من القرن الثالث إ أوائل القرن الرابع عشـر ا جري. وينتسب مؤلفوها إ تلف آفاق العـا الإسلامي، ومنهم عدد من ا شاه الأعلام الذين أسهموا بعلمهم ومصنفا م إسهاما نافعا كان لـه أبعـد الأثـر تطور العلوم، وتقدم ا ضارة البشـرية. ويؤكد ا فهرس كذلك أن ا موعة ال يضـمها هـذا الفهرس توي على عدد كب من الـنوادر تنفرد ا ا زانة ا سنية أو يعز نظ ها خزانات الكتب الشه ة الأخرى، ومن هذه النوادر مصنفات علماء ينتسبون إ أقطار الغرب الإسلامي بـرزوا ا ساب وا وا ساحة وا يئة والتوقيت وآلات الرصد ا ختلفة[27].

فهـرس ا ؤلف 589 طوطا: يذكر عنوان الكـتاب، اسـم ا ؤلـف، أول النسخة، ايتها ملخصـا ـتوى ا خطوط، نوع ا ط، لون ا داد وأخ ا اسم الناسخ وتاريخ النسخ إن وجد حردِ ا ـ (colophon). وقـد ذيـل ا فهـرس كتابه بكشـافات ثلاثة: أو ا خاص بأ اء ا خطوطات: الرياضـيات وعلم الفلك ا غرافيا، والثا خاص بأ اء ا ؤلفـ ، وآخرها خاص بأ اء النساخ، وكلها مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

أمـا ا لد الرابع من فهارس ا زانة ا سنية، فقـد خـص به ا فهرس طوطات ا نطق وآداب

الـبحث وا وسـيقى ونظم الدولة والفنون ا ربية وجوامع العلوم[28]، مش أ ا قدمة إ موضوعات ا خطوطـات ا فهرسـة إ مشـاريع ا ـزانة ا سـتقبلية، مع تأكيد ا فاظ على النهج الذي سار عليه الفهارس السابقة، وذيله بالكشافات التالية:

- كشـاف ا خطوطات الا اشتمل عليها ا لد الرابع.
- كشـاف ا ستدرك على ا لدين الثا والثالث.
- كشاف بأ اء ا ؤلف الواردة ا لد الرابع.
- كشاف بأ اء مؤلفي ا ستدرك.
- كشاف بأ اء الناسخ با لد الرابع.
- كشاف بأ اء الناسخ با ستدرك.

وقد خص ا امس من فهارس ا زانة ا سنية خطوطات الكيمياء وتعب الرؤيا والعلوم ا فية[29]، واعت ه ا فهرس آخر فهرس للعلوم العقلية ا فوظة طوطا ـا با زانة، وقد وصف فيه ا ؤلف 567 ـلدا فيهـا العديد من النوادر الفريدة أو الا يعز نظ هـا وكذلك ما استخراجه من ا اميع. ويدل الوصـف على أن موعة كب ة من كتب الكيمياء نسـخت برسم خزانة السلطان ا سن الأول الذي كـان مولعـا بعلم الكيمياء. وتضم هذه ا موعة مؤلفات جابر بن حيان (196هـ) وابن وحشية (296هـ) و مـنظومات الطغرائي (513هـ) وأرجـوزة ا نبهي (1164هـ)[30] وغ ها. وختم ا ؤلف فهرسه سارد خاصة بكل فن وهي كالتا :

مسـرد طوطات الكيمياء، مسرد الأوقاف وأسرار ا روف والتنجيم والزايرجة وما شابه ذلك، مسـرد بأ اء ا ؤلف الذين اشتمل عليهم الفهرس وأخـ ا مسرد بأ اء الناسخ حسب الرقم الترتي لـلمخطوطات. وكـل هذه الفهارس مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

وآخـر فهرس رجه العر ا طا هو ذلك الذي فهرس فيه طوطات علوم القرآن والذي كان يـريد له أن يكـون القسم الأول من فهارس العلوم الشرعية[31]، وقد قسمه إ أقسام ثلاثة:

1 – التجويد والقراءات والرسم القرآ .

2 – التفس .

3 – مـباحث خاصـة أو عامة شاملة لعلوم القـرآن (الأحكام، الإعراب، شرح الغريب، آداب ـل القـرآن، أسباب الا ول، الناسخ وا نسوخ، خواص القرآن...)

ويضم الفهرس نوادر ونفائس معظمها نصوص وأخـرى عبارة عن أراجيز كانت أجوبة عن أسئلة الفقهـاء ا تعلقة بقراءة القرآن و ويده ور ه. وقد خـص هذه الأقسام سارد بأ اء ا ؤلف وختمها سـرد للنساخ، على غرار ما صنعه فيما سبق من فهارس، وكل ذلك حسب الترتيب الألفبائي[32].

هـذه ـلة ما ظهر من فهارس ا خطوطات ا فوظة با زانة ا سنية. أما ما ص الوثائق ا ذلـك الكنانيش، فقد نشرت ا زانة فهرس ، خص

ا ـلد الأول منهما بالكنانيش (السجلات الر ية) واهـتم الثا با راسلات ا لكية وغ ها، وضعهما موظفون با كتبة ا لكية ت إشراف مديرها آنذاك.

_ فهرس الكنانيش[33].

الكناش[34] مثل التذكرة أو الفهرسة هو تقييد يسـجل فيـه صاحبه شؤونه ا اصة كالإشارة إ الكـتب ال قرأها أو درسها أو ألفها أو إ بعض الأحـداث ال ر ا لا نعثر عليها كتب التاريخ. ويـبدو أن هـذا النوع من التأليف بدأ يظهر ا غاربـة مـنذ القـرن الـرابع عشر ا يلادي[35]. الكناشات كث ة ا غرب وقد لعبت دورا مهما ا فـاظ عـلى كث من الأخبار وعلى العديد من عناوين الكتب وبعض تويا ا ا جعل بعض العلماء وا ؤلفـ يضـعو ا ضمن مصادرهم على غرار ما صـنعه أ ـد بابـا التنبك مقدمة كتابه "نيل الابـتهاج"[36]. ويعتـ هـذا الفهرس أول فهرس للكناشـات ا غربية ا اصة بالدولة العلوية الشريفة والـ هي عبارة عن السجلات الإدارية الر ية ذه الدولـة وعددهـا سة وعشرون و ا ائة كناش، أقدمهـا يرجع إ عهد السلطان مولاي عبد ا بن إ ـاعيل (1141م – 1171م). أمـا مواضيعها فمتنوعة و كن تقسيمها كما يلي:

- قسم يشتمل على البيانات ا الية ا تعلقة:

أولا : با وانئ (الصادرات والواردات).

ثانيا : با بايات والرسوم وخرص الغلال.

ثالـثا: داخيل وصوائر بيت ا ال والأملاك ا خزنية.

- قسـم توي على نسخ ا راسلات ا كومية الصادرة والواردة.

- قسـم يضم نسخ بعض ا عاهدات الدولية ال أبرمتها ا ملكة ا غربية مع الدول الأجنبية. هذا فضـلا عـن كنانيش أخرى متعلقة بالشؤون ا اصة بالبيت ا لكي وبالأمور العسكرية.

وقد رتب هذا ا لد على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خاص با واضيع مع بيان رقم الكناش وتوار ـه واسـم السـلطان الذي التسجيل عهده.

القسم الثا : يتضمن كشفا بأ اء الأعلام البشرية الواردة الكنانيش.

القسم الثالث: وهو كشف بأ اء الأماكن ا ذكورة السجلات[37].

ويـلي فهرس الكنانيش فهرس الوثائق الذي صنفت مواضيعه على الشكل التا :

1 - الشؤون الدينية (الأحباس – ا ج).

2 – الشؤون ا اصة بالبيت ا لكي.

3 – التعيينات والإعفاءات.

4 – الأمن الداخلي وا ارجي.

5 – أمور ا يش والسلاح.

6 – ا بايات والرسوم وا كس.

7 – ا وانئ وا لاحة.

8 – الشـؤون ا اليـة والاقتصادية والأملاك ا خزنية وا ماعية.

9 – التجارة الداخلية وا ارجية.
10 – الأجانب وا مايات القنصلية.
11 – السفارات.
12 – أهل الذمة.
13 – مراسيم التوق والاحترام.
14 – ا دايا وا بات.
15 – مواضيع متنوعة.

يضم هذا ا لد الوثائق ا تعلقة بالشؤون الدينية والشـؤون ا اصـة بالقصـر ا ـلكي والتعيينات والإعفاءات على عهد السلطان ا و عبد الر ن بن هشام (1822-1859). وقد صنفت تصنيفا زمنيا مـع رقـم كل وثيقة وتار ها وموضوعها ا اص، وأضـيف إ ذلـك مسرد بأ اء الأعلام البشرية ومسرد آخر بأ اء ا دن والقبائل والأماكن ال ورد ذكرها الوثائق ا فهرسة.

وقـد خصـت أميـنة النايل القسم الثا [39] للمراسـلات ا تعلقة بالأمن الداخلي وا ارجي على عهـد السـلطان ا و عبد الر ن بن هشام وهو مرتب كسابقه سب ا واضيع العامة ال بـ عليها تصـنيف وثـائق ا زانة مع مسرد للأعلام ومسرد للأماكن ال ورد ذكرها ا راسلات.

أمـا ا زانات ا اصة فإ ا متعددة ولكنها غ مفهرسة. فا فهرسة منها لا يفوق عددها عدد أصابع اليد. وقبل عرض الفهارس ا طبوعة ا عروفة وا تعلقة با كتـبات ا اصة ب الاعتراف بأن أعظم خزانة خاصة مغربية عرفها العصر ا ديث تلكم ال عها العلامـة عـبد ا ي الكتا وال حوت ما وه مكتبة معاصرة سواء الشرق أو الغرب، غ أن هذه ا زانة العظيمة قد ذهبت بذهاب صاحبها وآل معظمهـا إ ا زانة العامة[40] وانتقل جزء منها إ ا ـزانة ا لكية. وقد قدر بعض ا دث قيمتها بعدة ملاي من الدراهم ا غربية[41] وأول ا زائن ا اصة ا عاصـرة ال ت فهرسة جزء منها خزانة الأسرة الصبيحية دينة سلا[42].

بعـد تقـد دير معهد ا خطوطات العربية حينئذ، يعرض مد حجي، واضع الفهرس، نبذة عن تاريخ هذه ا زانة من تأسيسها إ وضعيتها ا الية، مـتحدثا عـن تويا ا وطبيعة طوطا ا وصيانتها وغ ذلك. وقد أكد ا ؤلف أنه اقتصر على وصف الكتب ا خطوطة ا لدة، وقد أجل ا روم والوثائق والكناشات إ مرحلة ثانية. أما منهج الفهرسة فقد ركـز ا ؤلـف على ذكر اسم ا ؤلف وسنة وفاته ومصـدر الـتر ة واسم الناسخ وتاريخ النسخ أو مكانـه. وقد صنف ا خطوطات ا فهرسة عشرة مواضيع:

1 - القرآن وعلومه.
2 - ا ديث وعلومه.
3 - التوحيد وا نطق – والفقه وأصوله.
4 - التصوف.
5 - الـلغة – النحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب.
6 - الـتاريخ، والـتراجم وا ـناقب والأنساب،

الرحلات ا ...
7 - ا ساب، ا ندسة...
8 - الطب – الأعشاب – ا يوان - ا وسيقى.
9 - الكيمياء – سر ا رف – ا ط – الأوفاق – الزايرجات.
10 - متـنوعات منها: مبادئ العلوم – التعليم – السياسة...

وقد ذيل مد حجي هذا الفهرس بكشافات ألفبائية عامة: كشاف للكتب وآخر خاص با ؤلف وجعل الفهرس الثالث خاصا بأ اء الناسخ .

وا دير بالذكر أن هذه ا زانة هي من ب ا زائن ا اصة القلائل ا فتوحة وجه الباحث بدءا بتلامذة الابتدائي إ مستوى التعليم العا .

أما ا زانة ا اصة الثانية ال ت فهرستها هي خـزانة العلامـة عبد ا كنون رئيس رابطة علماء ا غـرب وال يوجد مقرها دينة طنجة حيث عاش صاحبها وجامعها ر ه ا [43].

لقد مع لدى هذا العا طوال حياته العلمية، مئات من ا خطوطات وا طبوعات ا جرية وأضاف إليهـا عددا من ا صورات ال استخرجها من دور الكـتب صر واسبانيا[44]، وقد تصنيفها حسب العـلوم والفـنون، ابتداء من نسخ مصاحف القرآن حسب القراءات، فكتب الدراسات القرآنية والتفس وا ديـث والفقـه والتصوف والتاريخ والأنساب والطبقات والتراجم والسياسة والرحلات والدواوين والأدب والعروض والبلاغة والتوحيد والنحو واللغة وا نطق والفلسفة والفلك والتوقيت وا ساب وعلم ا داول والأوفاق والفلاحة وغ ها. وتتلخص طريقة ا فهرس ا طوات التالية:

- عنوان ا خطوط واسم مؤلفه وتاريخ وفاته.
- ذكـر أولـه وذكر آخره وتاريخ التأليف وتاريخ النسخ إن وجدا.
- وصف ا خطوط والإشارة إ طبعه، إن طبع، وتاريخ ومكان الطبع.
- وصف ا خطوطات داخل ا اميع.
- صيص كل نسخة من نسخ الكتاب الواحد برقم خاص.

وينبغي الإشارة إ أن هذا الفهرس يضم كذلك لائحة خاصة با طبوعات ا جرية ال يعت ها ا ؤلف لندر ا حكم ا خطوط.

وقـد ذيـل ا فهـرس فهرسـه هذا بلوائح ا خطوطـات، مرتـبة حسب التصنيف السابق، مع كشـاف عام لعناوين ا خطوطات وفهرس للأعلام كلا ا مرتب ترتيبا ألفبائيا ولائحة با راجع وا صادر الـ رجـع إليها يئة العمل "ككشف الظنون" وفهارس ا خطوطات.

ومن ب الفهارس ا طبوعة ا تعلقة خطوطات ا زانات ا اصة الفهرس ا وجز خطوطات مؤسسة عـلال الفاسي (ت1974م)[45]. يقول ا ؤلف مقدمـة الفهرس: "تعت خزانة كتب مؤسسة علال الفاسـي من أغ ا زانات ا اصة با غرب". وإن قسـم ا خطوطات منها با صوص ليزخر بكث من

الـنفائس والـنوادر. لقد كان ا رحوم الزعيم علال الفاسي يبذل من وقته وماله سبيل اقتناء الكتب، وا خطوط منها على الأخص، ما كن الاطلاع عليه بإلقـاء نظـرة عـلى فهـرس خزانته العامرة[46].

"بالإضـافة إ ا خطوطات، تشمل ا زانة مؤلفات ا ـرحوم علال الفاسي العديدة، طوطة ومطبوعة، ا طـبوعات ا جرية فا طبوعات ا ديدة، وأخ ا ـلات والدوريات. وقد خصص ا ؤلف كل جزء من الأجزاء الأربعة موعة من الفنون، وهكذا عا

ا ـزء الأول: السـ ة النبوية، الأنساب، ا ناقب، الـتراجم، الفهارس والإجازات والأسانيد، التاريخ وا غرافية، الرحلات، الوفيات، الرياضيات، الفلك، الـتوقيت، الأوفـاق وا ـدل، الطب والصيدلة، الفلاحة، السياسة وكنانيش العلماء.

وعـا ا زء الثا : ا صاحف، القراءات، التفسـ ، ا ديـث، الـتوحيد، الفلسفة والكيمياء وا نطق.

وقد فهرس ا زء الثالث كتب الفقه والنحو والصـرف والبلاغة والعروض واللغة. وقد خصص ا لد الأخ للتصوف والآداب وعلوم تلفة.

وضـع ا ؤلف لكل طوط رقم بارزين: يشـ أو مـا إ الرقم الترتي ذا الفهرس ويش ثانيهمـا إ رقـم ا ـلد الذي يوجد به ا خطوط با زانة.

أمـا طـريقة الفهرسة ال سلكها ا ؤلف هذا الكتاب فجاءت على الشكل التا :

1 – عنوان ا خطوط.

2 – اسم ا ؤلف ولقبه وعام وفاته.

3 – أول ما افتتح به ا ؤلف كتابه.

4 – عدد صفحات ا خطوط ومقياسها ومسطر ا.

5 – تاريخ التأليف وتاريخ النسخ واسم الناسـخ إن أمكن.

6 – نوع ا ط.

7 – الإشـارة إ ا راجع ال ذكرت الكتاب أو تر ت مؤلفه.

وقـد أ ـق الأخ فهرس مرتب على حـروف ا عجم: الأول بأ اء الكتب والثا بأ اء ا ؤلفـ . وقد سطر ا قدمة – على غرار القدماء مقدمـات كتبهم – ا صادر وا راجع ال استعان ـا و أ إليها وضع الفهرس "ككشف الظنون" و"ا عسـول" للمختار السوسي و"فهرس الفهارس" للكتا و "دائرة ا عارف الإسلامية الغربية" و"أعلام الزركلي" وغ ها[47].

ويضـم إ هـذه ا زائن ا اصة خزانة عا وسياسـي آخـر معروف واقفه السياسية وآرائه الفكـرية ومسا اته الثقافية ال تتمثل العديد من ا ؤلفات والأ اث تأليفا و قيقا ونشرا. إنه ا رحوم مـ د الفاسي (ت1993م) الذي كان أول وزير للتعلـيم بعد استقلال ا غرب. وإذا كانت خزانته قد بلغت ستة عشر ألف كتاب، فإن عدد ا خطوطات لا يـتجاوز 361 طوطـا. وقد آلت هذه ا زانة بأكملها إ القصر ا لكي حيث أصبحت جزءا من

خزانته[48].

وقـد وضـع ذه ا موعة كشاف متواضع بعـنوان: "الرصـيد الوثائقي للفقيد مد الفاسي": موعـة ا خطوطات. طبع على ا اسوب ثلاثة وعشرين صفحة[23].

لا مؤلـف للكشاف الذي يبدو أنه من صنع تص با اسوب، ر ا يكون أحد أفراد العائلة. يضع العـنوان وأمامه قيمته ا ادية[49]. و تم با لاحظات إن كان هناك ما يلاحظ. ومعظم الكشاف خال من ا لاحظات باستثناء ثلاثة طوطات ثبت أ ا بسة عـلى جامع القروي ووضع عليها طابع إدارة هذه ا ؤسسة. و ضع الكشاف لأي ترتيب أو تصنيف يـث إنـه رتب حسب الصناديق ال عت فيها ا خطوطات وال بلغ عددها ثلاثة عشر صندوقا.

ومـن بـ ا كتبات ا اصة ال وضعت ا قوائـم ولوائح، خزائن بعض الوجهاء ال آلت إ القصـر ا لكي راكش وهي على التوا : موعة عـبد ا ـي الكتا [50]. وخزانة الصديق الفاسي ومكتبة مد بن عبد السلام بنا وخزانة عبد الكب الفاسـي و طوطـات عبد السلام الفاسي وخزانة مـولاي ا سـن بن ا هدي و موعة مد الفاسي وأخـ ا خزانة أ د بنمسعود[51]. وقد كلفت نة مـلكية عـام 1982، برئاسة الفقيه مد ا نو ، بفحصـها وفهرستها فوضعت ا لائحة[52] مرقونة فوظة بالقصر ا لكي.

وتضـم هذه ا زانة نوادر ونفائس عز نظ ها باقي ا زانات و تفتح بعد وجه الباحث .

ومـن بـ ا زانات ا اصة ا فتوحة وجه العـلماء، و تفهرس بعد أو هي طريق الفهرسة، خـزانة الفقيـه مد داود بتطوان وا زانة السودية بفـاس ال أسسها سليل هذه العائلة العريقة وأحد عـلمائها السـيد أ د بنسودة[53]. وليست هاتان ا زانـتان ومـثيلا ما مغرب اليوم إلا امتدادا ا كـانت عـليه ا زانات ا اصة ع تاريخ ا غرب الطويل.

والصنف الثالث والأخ من ا كتبات ا غربية هو الذي نعتناه بداية هذا البحث با كتبات العامة[54]. وقسـمناه أربعـة أقسـام: مكتبات ا ساجد، مكتـبات ا سـاجد ا امعة[55]، مكتبات ا دارس العـتيقة، مكتـبات الزوايا. فباستثناء بعض اللوائح والقوائـم ا تعـلقة جموعات بعض ا ساجد[56]، والـ لا ضع لأي تصنيف منهجي أو موضوعي وال وضعها الفقهاء والشيوخ والطلبة، فإننا نقف على أي فهرس منهجي تتوفر فيه شروط ومواصفات الفهرسة ا ديثة.

إن الفهارس ا نهجية ا ديثة تر النور عندنا إلا مـع ا ماية الفرنسية ال ارتأت بعد استقرارها با غرب ووقوفها على حالة خزانات الكتب أن تعيد تنظـيمها وتعا طوطا ا وتفهرسها على غرار ما حدث ا زانات الأوروبية[57] وقد وقع الاهتمام أول الأمـر زانات ا ساجد ا امعة وعلى الأخص خزانة جامع القروي ال يشهد التاريخ ا قامت به

مـن تكويـن وتـثقيف للعلماء والأدباء والفقهاء والفلاسفة ع التاريخ، من جهة، ولأ ا كانت تضم أهـم موعـة خطيـة ا غرب، من جهة ثانية.

وهكـذا، وبأمـر من وزير العدل آنذاك العا أ شـعيب الدكا تكونت نة من الشيخ عبد ا ي الكـتا والفقيه عبد الواحد الفاسي والعا إدريس بنطـلحة، سـاعدة وتنسـيق ا ستشرق الفرنسي ألفـردبل (Alfred Bel) مـندوب الكـتابة العامة لـلحكومة الشـريفة للتعليم الإسلامي بفاس[58]، وكـلفت بالبحث ما بقى من طوطات ا زانة و ـع شـتا ا وترمـيم ما ينبغي ترميمه وتكميل الناقص منها من موعات تلف خزانات ا غرب تنظـيمها وفهرسـتها مع وضع الكشافات لتيس استعما ا.

وبعـد سنت من التنقيب والعمل ا اد رأى الـنور أول فهـرس منهجي خطوطات خزانة ا غرب[59].

بعـد مقدمة ذا العمل التق ا اد بسط فيها عـبد ا ـي الكتا القول عن الوضعية ا زرية ال آلـت إليها هذه ا زانة، يقدم لنا الفهرس 1542 طوطـا و98 مطبوعا حجريا مرتبة حسب الفنون الـتالية: التفس – القراءات – ا ديث – الفقه – الـنحو – الـلغة – الأدب – الطب – ا ندسة – التوقيت وا نطق – الأصول – ا اميع – التصوف-الـتوحيد وأخ ا ا لحقات. وقد خص ا فهرس كل طوط باسم مؤلفه وعنوانه، وعدد أجزائه، وحالته با ـزانة. ووعاءه (جلد أو ورق) ورقمه بالفهرس، وذكـر أول سـطر من ا خطوط. وانتهى الفهرس سـردين مرتـب ترتيـبا ألفبائيا: أحد ا خاص بالعناوين وثانيهما خاص بأ اء ا ؤلف .

أما الفهرس الشامل والأخ الذي وصف يع تويات هذه ا زانة الكب ة التار ية هو الذي وضعه القيم على ا زانة مد العابد الفاسي (ت1975م) ونشره ابنه أربعة لدات[60].

قـدم ابن ا ؤلف الفهرس قدمة ضافية دث فيهـا عن والده مصنف الكتاب وأعطى نبذة تار ية موجـزة عـن خزانة القروي تناول ا ديث عن ا ـافظ الذيـن توالوا على رأس ا زانة بأمر من ا لوك وأخ ا أشار إ مصادر تويات هذه ا زانة.

وإذا كـان ـع هذا الفهرس قد بطريقة عشـوائية و ضع تأليفه لأي تصنيف أو ترتيب، فـإن ا ـزء الأول مـنه قـد اشتمل معظمه على طوطـات القرآن وعلومه وا ديث والسنة والفقه، واشتملت الأجزاء الثلاثة الأخرى على باقي الفنون، من أدب وبلاغة وفلسفة وطب وفلك وغ ها[61].

و ـتاز الفهـرس بتلكم التراجم الضافية ال خـص ـا ا ؤلف العلماء والفقهاء وا فكرين وما نسـب إليهـم مـن أخبار ونوادر وما خلفوه من مؤلفـات، الشيء الذي جعل صاحب التقد يقول الأخـ : "فـإن كتاب أ عبد ا مد العابد الفاسـي ليس فهرسا للمخطوطات فحسب، بل هو كذلـك معجم للأدباء"[62]. أما فيما ص وصف

ا خطوطـات فإن ا فهرس يذكر عنوان ا خطوط أجزاءه الأصلية وما هو موجود منها با زانة اسم ا ؤلـف الكـامل يشـ إ ما يعرفه من نسخ ا خطـوط ا فوظـة تـلف ا زانات الوطنية والدوليـة يصـف حالة ا خطوط فيقول: " هو صـحيح أو مبتور، يصف نوع ا ط، الوقف إذا كـان عـليه ـبيس، يش إ ما مله من هوامش وطرر وتعليقات وشروح و تم وصفه بعدد الأوراق أو الصـفحات، فعـدد السطور، ا قياس، فالناسـخ، فالوعاء (جلد أو ورق)، وإذا كان جلدا فمـن أي أنواع ا لد، التسف وأخ ا يذكر اسم الناسخ إن ذكر. وقد أ ى مد الفاسي هذا الكتاب بفهـرس خـاص بأ اء ا ؤلف موع الأجزاء الأربعـة باعتبارها حسب قوله ا دخل الرئيسي لدى الباحث، وقد أخذ بع الاعتبار الاسم العائلي نظرا لشـيوعه ورسوخه ا افظة أكثر من غ ه وأتبعه باسـم العلم واسم الأب تفاديا للخلط. وقبل وضع هـذا الكشاف قال: "إن هذا الفهرس قصة مشوقة ـلك الذهن و كم الوجدان"، إن قصة ا خطوط العر با غرب وعلى ا صوص ركز إشعاعه، طوال قرون، امعة القروي بفاس[63].

أما مسجد ا امعة الثا فإن أول فهرس وضع لـه كان ذلكم الذي أ ز بأمر من ا ليفة السلطا ا و عبد ا فيظ عام 1329هـ. يقول مؤلفه إنه سـطر الكُناشـة على سة أضلاع: الضلع الأول لاسـم ا ؤلف واسم الكتاب وتاريخ وفاة ا ؤلف. والـثا للنسـخ ا وجودة من قلم أو طبع. والثالث لعدد الأجزاء، والرابع لصفتها من صحيح أو متلاش، وا ـامس لنمر ا ا صوصية ا رموز روف ن.خ. والعمومية ن.ع.

وقد قسم ا فهرس فهرسه الذي اه "كناشة" إ 18 بابـا: ا صـاحف – القراءات – التعب – ا ديث – الصلاة على الن – التوحيد – التصوف – الوعظ – الأصول – الفقه – التاريخ – اللغة – ا ـنطق – الطـب – النحو والصرف – الأدب – البلاغة – متنوعات.

وقد ختم هذه الكناشة ال وصف فيها 470 طوطـا با صـادر الـ اعـتمد عليها عمله "ككشـف الظـنون" وابـن خلكان وابن خلدون وآخرين.

أما الفهرس الأحدث الذي وضع ذه ا زانة هـو فهـرس العا الصديق بلعر ا سمى "فهرس طوطـات خزانة ابن يوسف" راكش وهو أك حجما من الأول حيث وصف فيه صاحبه ما يقارب 2000 طوط. يبدو من خلال معاينة هذا الفهرس أن صـاحبه حـاول وضـع فهرس دقيق للتعريف با خطوطـات حسب الطرق ا ديثة ا تبعة وضع الفهارس و ذا أخذ بع الاعتبار ا واصفات التالية: رقم ا خطوط – عنوانه – مؤلفه – أوله – فرغ من الـتأليف الناسخ – تاريخ النسخ – مكان النسخ – التملك –التحبيس – مكان التحبيس – نوع ا ط- مسطرته – مقياسه – ملاحظات تلفة – وقد وجه

عناية ك ى إ الصفحات الأو والأخ ة من كل
 طوط لتسجيل ما مله من بيسات أو لكات أو إجـازات أو اعات أو تقاريظ وتوقيعات وخطوط وأ ـاء ا وقعـ عـلى الوثائق ا ختلفة من قضاة وعدول وقيم وطوابع ر ية وغ ذلك(65). وأ ى ا ؤلـف فهرسـه بكشافات أربعة: كشاف ا ؤلف وكشـاف الكـتب، وكشاف ا بس ، وكشاف ا وضـوعات. إنه فهرس تلف عما سبق وصفه من فهـارس مـن حيث مواصفات ا خطوط كذكره للتحبيس والإجازات والسماعات وغ ذلك(66).

أمـا خـزانات ا امعـات ا ديثة فإن كل ـتويا ا مطبوعات باستثناء كلية آداب الرباط ال تفظ جموعة مهمة من ا خطوطات معت لديها بسـبب الأدوار الـثقافية ال لعبتها منذ أن كانت مدرسة للغة العربية واللهجات ال برية عند تأسيسها مع بداية ا ماية الفرنسية إ أن أصبحت أول كلية لـلآداب بعـد استقلال ا غرب. وقد وضعت هذه القائمـة الأستاذة حليمة فرحات وصفت فيها أكثر من 300 طوط تعا العديد من الفنون وا عارف بدءا بالقرآن الكر وانتهاء بكتب الطب وا نطق(67). وقد اعتمدت ا ؤلفة وصفها للمخطوط عنوانه، مؤلفـه، أولـه وآخره، نوع ا ط، تاريخ النسخ، مسـطرته الإشارة إ مصدر أو مرجع له علاقة بالكـتاب. وقـد يلاحـظ لأول وهلة أن نوعا من الاضـطراب يسـود هـذه القائمـة ال تفتقر إ الكشـافات أو ا سـارد ا اصة بعناوين الكتب أو أ اء ا ؤلف .

ويدخـل صـنف ا كتبات العامة مكتبتان احتفظـتا حـ الآن بأضخم وأهم ا موعات ا طية ا فوظة با زانات العمومية ا ا كتبة العامة بالرباط وا كتبة العامة بتطوان. إن خزانة الرباط ال أسست على عهد ا ماية، وال كان ا وما زال دور القيام بشؤون ا كتبة الوطنية، قد حظيت بقصب السبق من حيـث التنظيم والفهرسة(68). خضعت أول موعة مـنها للفهرسة منذ سنة 1921 على يد ا ستشرق الفرنسي الكب ليفي بروفنصال الذي حاول جاهدا أن يضـع فهرسـا(69) حديثا ترم كل مواصفات الفهرسـة ا ديـثة. إنه أول فهرس يستش تاريخ الأدب العـر لـ وكلمان ـثا عن نسخ أخرى ومظا ـا لـلمخطوط ا فهـرس. إن ا خطوطات ا فهرسـة تعـا معظم علوم العربية بدءا بالقرآن وانـتهاء با وسيقى وا امع. صدر ليفي بروفنصال فهرسه قدمة تار ية عن ا موعة ا طية ال ينوي فهرسـتها أ اه بكشافات ثلاثة مرتبة ترتيبا ألفائيا أحدهـا خـاص با ؤلف بالفرنسية وثانيها خاص بعناوين الكتب باللغة العربية وخصص الثالث طابقة الأرقـام الترتيبية السجل العام لأرقام الكتب الفهرس(70).

وقـد فهـرس موعـات أخرى بعد ليفي بروفنصـال كل من ر.بلاش ورونو وغ ا. و سنة 1954 أصدر الرجراجي وعلوش القسم الثا مـن فهارس ا زانة العامة سائرين على خطى ليفي

بروفنصـال فهرسـة ا خطوطات[71]. و عام 1973 ظهر القسم الثالث من فهارس ا كتبة العامة فيـه وصـف 1056 طوطا مشيا على نسق الفهـارس السـابقة[72]. وقد انتهت هذه السلسلة بالقائمـة الـ وضعها الفقيه ا نو موعة خطية بعـنوان: "فهـرس ا خطوطات ا فوظة ا زانة العامـة بالرباط": فهرس فيه ا ؤلف أكثر من 400 طـوط[73]. أما ا كتبة العامة بتطوات الا تشتمل على 2407 طوطات فإ ا تفهرس هي كذلك بأكمـلها. والفهرس ا ديث الذي نشر[74] يقتصر على القرآن وعلومه كالتجويد والقراءات والتفس . وقد حاول ا فهرسان أن يكونا أكثر تفصيلا وتدقيقا من غ ا وضع هذا الفهرس كأن يبحثا تاريخ ميـلاد ووفاة ا ؤلف بالتار ا جري وا يلادي، كما يذكران بداية و اية ا خطوط والإشارة إ نوع ا ـط (نسـخي أو شـرقي أو جبلي) وعن حالته (رديء، يل، دقيق، واضح) وعن الألوان تاريخ النسخ واسم الناسخ. وختم الفهرس بكشافات ثلاثة ألفـبائية: كشـاف العـناوين، كشاف النساخ ، كشاف ا صادر وا راجع ا عتمدة الفهرسة. وقد أصدر ا ؤلفان القسم الثا ، نشرته وزارة الثقافة سنة 1984، وصـفا فيـه طوطات ا ديث والس ة النـبوية وسيصدر قريبا القسم الثالث الذي فهرست فيـه كتب الفقه، و تلف القسم الثا من حيث التنظيم والفهرسة عن القسم الأول.

و تم فهارس ا كتبات العمومية ا صدر من قوائم للمجموعات ا فوظة ختلف مكتبات الزوايا ا غربية. إن هذه الزوايا الا أسست قاومة ا ستعمر مـنذ القـرن العاشر ا جري قد لعبت أدوارا ثقافية ك ى بإزاء دورها السياسي، وعلى الرغم من أ ية ا خطوطات الكث ة الا لا تزال تفظ ا إ اليوم فإ ا للأسف ضع لفهرسة علمية حديثة. كل ما هنالك أنه قد وضعت لبعضها قوائم ولوائح مبعثرة، نشـ إليها بإ از، وبقيت الأخريات[75] عبارة عن غابـات كثيفة يصعب دخو ا بل يتعب من اول استشارة تويا ا، و ا أن الزوايا تشرف عليها وزارة الأوقـاف فقد قامت هذه الوزارة بوضع قوائم أولية لبعض هذه ا زائن، وهكذا وضع الفقيه مد ا نو لائحـة جـزئ موعـة خـزانة زاويـة كروت"الزاوية الناصرية"الا تبلغ 4200 طوط[76]. نشر عام 1985 دليل طوطات دار الكتب الناصـرية بتمكروت[77] مضيفا إليه ما يسجل اللائحة ا ذكورة واحتفظ ا فهرس بالطريقة الا سـلكها وصفه للمخطوطات حيث يذكر الرقم الترتيـبـي رقم الكتاب، عنوانه واسم مؤلفه وعدد الأجزاء وتاريخ النسخ، دون مراعاة أو ترتيب مع ، ا عل الدليل صعب الاستعمال.

والزاوية الثانية الا تضم مكتبة عظيمة بسبب طوطا ـا الـنادرة هـي الزاوية ا مزية العياشية بالرشيدية. بدأت توضع ا القوائم منذ القرن التاسع عشـر. ففـي سنة 1852 وضع ا دليل بعنوان: "فهرسـة خـزانة أ سا " وأحفاده[78]. و سنة

1962 صـورت بعـثة ـنظمة اليونسكو 259 طوطا. و سنة 1963 نشر مد ا نو لة تطـوان ـثا بعـنوان: "مكتبة الزاوية ا مزاوية" صـفحات من تار ها[79]: صدر ا ؤلف ثه قدمة تار ية عن الزاوية وصف موعة من ا خطوطات ـا فيهـا ا اميع ذاكرا العنوان، اسم ا ؤلف، اسم الناسـخ، تـاريخ النسخ ورقم الكتاب ا زانة. وأحيانـا يذكـر إمـا بداية ا خطوط أو ايته. أما ا توى، فإنه لا تلف عن الكتب ا تداولة الزوايا ا غربية. أما مكتبة زاوية تنغملت الـ يرجع تأسيسها إ العصر السعدي فإ ا توي على 738 طوطا حسـب اللائحـة الـ وضعتها ا الأوقاف عام 1973 والـ اقتصر فيها على اسم ا ؤلف وعنوان ا خطوط وتاريخ النسخ[80]. ولا ضع لأي ترتيب أو تنسيق.

وبعـد فهذه فهارس وقوائم[81] ا خطوطات العربية الإسلامية ا فوظة تلف خزانات ا غرب، فمـا هـي طبيعـتها وما هي الطرق الـ اتبعت وضعها والقيام ا؟ ومن هم هؤلاء الذين أنيطت م هـذه ا همة العلمية؟ وهل كن القيام أخ ا باقتراح بطاقـة وذجية لفهرسة ا خطوط العر دون اولة القيـام مسبقا بتحديد مفهوم الفهرسة ديدا علميا باعتـبارها عنصـرا مـن عناصر علم ا خطوطات ا ديـث ا عـ عنه الغرب بالكوديكولوجيا (Codicologie).

إن اخـتلاف التسـميات الـ أطلقت على فهارسـنا ا غـربية، كدليل وفهرس وقائمة ولائحة وكشـف ومسـرد وكشـاف وكناش أو كناشة وغ هـا، يوحـي بالاضطراب وبا اجة إ ديد ا صـطلح الذي نريده للمؤلف الذي فيه وصف طوطـات خـزانة معينة. وللتذك فإن أطروحة الترادف غ موجودة اللغات، وإن كل كلمة ا معـ خـاص تدل عليه، ومرادفها لا يع معناها بالضـبط بقـدر مـا يقصد به تقريب مع الكلمة ا ـرادفة. إن كـلمة دليل لا تع قائمة، والكشاف ليـس هـو الفهرس، وا سرد ليس هو الكناشة أو الدليل.

فالكـلمات الفرنسية ا قابلة ذه ا صطلحات وا سـتعملة إطار الفهرسة (Repertoire-index Catalogue) تفيد الاستعمال معا تلفة للتعب عـن عمـلية وصف ا خطوطات (L'Index) هو الكشـاف الذي يقتصر فيه صاحبه على اسم ا ؤلف وعـنوان الكـتاب ورقمه ا زانة وكشاف[82] ا ستشرق فاجدا (Vajda) (ت1981) الذي وضعه خطوطـات باريـز خـ مثال على ذلك. (Le Catalogue)[83] هـو الفهـرس الـذي يتناول فيه صاحبه وصف ا خطوطات وصفا تفصيليا كما جاء فهـرس طوطات ا كتبة الوطنية الفرنسية الذي بـدأه فاجدا (Vajda) ساعدة سوفان (I.Sauvan) والسـيدة كيـدون (Guesdon)[84]. أما كلمة (Repertoire) الـ تعـ الدليـل فإ ا لا تستعمل لـلمخطوطات بقـدر مـا تسـتعمل للتدليل على

المطبوعات أو لإحصاء المعيات والمنظمات والأشخاص مع شئ من التفصيل. إلا م لة ب الكشاف والفهرس.

مـاذا عـن استعمال واصفي المخطوطات للمصطلحات السالفة الذكر المغرب؟

إن إلقـاء نظرة سريعة على ما سبق وصفه من فهـارس وقوائم وأدلة توحي بالعشوائية ال تسود استعمال هذه المصطلحات ال يرسلها المؤلفون على عواهنها دون التركيز على ما تعنيه بالضبط كعناوين مؤلفـا م. إلا رأيهم كلمات مترادفة لا تفاوت كـبـ ا بينها ينوب بعضها عن بعض على الرغم من الاخـتلاف الماصل توى هذه الكتب ال كان وصف المخطوطات موضوعا ا.

هذا من حيث المصطلح. أما من حيث طبيعتها فإ ـا مضطربة أشد ما يكون الاضطراب، إن معظم القوائـم رتبت طوطا ا سب ترتيبها على رفوف ا ـزانة ولا يعـدو هذا الترتيب أن يكون مطابقا لسجل قسم دخول الكتب للمكتبة. وهذا ما حصل مـثلا دليـل خزانة الزاوية الناصرية بتامكروت ولائحة طوطات الزاوية ا مزاوية. وقد روعي قوائـم أخرى أحجام الكتب الترتيب دون الأخذ بالاعتبار أي نوع من التنسيق والتصنيف. وكث من هـذه القوائم يفتقر إ كشافات، بعناوين المؤلفات وأ ـاء المؤلف ، من شأ ا أن تيسر العمل للباحث عـن طوط مع أو مؤلف من المؤلف . إن طبيعة هذه القوائم تذكرنا بفهارس المكتبات القد ة الموقوفة على المؤسسات الدينية وال كانت عبارة عن لوائح للكـتب لا ضـع لأي ترتيب، تكون عادة ضمن كتاب الوقف الذي يشرف على القيام به القاضي أو الـناظر أو كـل مـن حت له مؤهلاته القانونية والشـرعية يازة الوقف واستلامه. وعلى الرغم من اولـة بعـض الفهـارس القليـلة القيام بوصف للمخطوطات وصفا تتوافر فيه بعض شروط الفهرسة ا ديـثة فإ ـا تبقى مفتقرة إ الكث من العناصر والمواصـفات الـ تفرضـها أساليب هذه العملية العـلمية. إن الما ئـة فهرس ال وقفت عليها أجد واحـدا منها يش إ ظاهرة التعقيبة هذه التقنية ال هـي عـبارة عن نوع من الترقيم استعمله القدماء لـترتيب المؤلفات من جهة، و ساعدة المختص صـناعة المخطـوط، كا سفرين، ترتيب ملازم الكتاب من جهة أخرى. باستثناء فهرس واحد أشار إشارات عابرة إ التسف وصف المخطوط، فإن كل الفهارس قد أ لت هذه الظاهرة ال تعت وضعا استراتيجيا لتأريخ المخطوط العر . إن لميد الكتاب المخطـوط مـن المواطـن ال يستهدفها كل من الكوديكولوجـي أي عـا المخطوطات والمفهرس حيـنما يكونان اجة إ توثيق نسخة من طوط معـ . باسـتثناء القـلة القليلة، لا د ضمن هذه الفهـارس مـن اهـتم بالسـماعات والإجازات والتملكات ال ا هي بدورها أ ية بالغة بالنسبة ن يؤرخـون لـلمخطوط العر . وهل الاهتمام ذه الظواهـر ضروري فهرسة المخطوط أم يدخل

اختصاص عا ا خطوطات؟

وإذا كـانت هذه طبيعة ما ظهر حـ الآن ا ـي بفهـارس ا خطوطات ال قلنا إ ا تفتقر مـلها إ أبسط قواعد الفهرسة العلمية، فمن هو ذاـك الذي أنيطت به هذه ا همة؟ إن معظم الذين وضـعوا القوائم ال وصفها سابقا لا تلفون تكويـنهم وتعلـيمهم و ربتهم عن فقهاء ا ساجد وشيوخ الزوايا وطلبة ا دارس العتيقة وا بس الذين كـانوا يضعون قوائم للكتب دون مراعاة أي تنسيق مـنهجي أو تصنيف موضوعي تيس ا للعثور عليها والاسـتفادة مـنها الدراسة والبحث. إن الذين وضـعوا هذه القوائم لا تنقصهم الكفاءة العلمية ولا التجربة ميدان ا ؤلفات بل يفتقرون ارسا م لعملية الفهرسة إ التقنيات ا ديثة وإ التمكن من أسـاليب علم الببليوغرافيا ا ديث. لا بد للمفهرس من أن يكون ببليوغرافيا لأن موعة التساؤلات ال يطـــرحها العـــنوان الببــــليوغرا (L'adresse bibliographique) خطـوط مع تقتضي وجود مفهـرس ملم بقواعد الببليوغرافيا وأساليبها ا ديثة. إن هذا الإ ام هو الذي كنه من الإجابة عن الأسئلة التقنية والعلمية ال تطرحها عملية الفهرسة من جهة ويقتضـيها الوصـف الـتار ي والكوديكولوجي للمخطوطات من جهة أخرى.

وبالإضـافة إ الإ ـام بالببـليوغرافيا، على ا فهـرس أن يكـون باليوغرافيا يستطيع التمييز ب أنـواع ا طوط القد ة. معظم أدلة ا خطوطات ا غـرب تشـ إ نوعيـة ا ط الذي كتبت به ا خطوطة فتقول: خط شرقي أو خط مغر ، ولكننا لا نعـثر إلا قليلا على الأدلة ال دد بالتدقيق هذا ا ط. فإذا كان ا ط مغربيا مثلا فهو إما أندلسي أو مغر أو موريتا أو غ ذلك، وإذا كان مغربيا فهو فاسـي أو صـحراوي أو سوسي أو بدوي أو غ ذلك.

وإذا كـان بعـض العـلماء الذيـن اهتموا با خطوطـات واشـتغلوا ـا عقـودا من الزمن يستطيعون التمييز ب هذه ا طوط فإن ا غرب يبقى اجة إ باليوغرافي تص بعلم ا طوط القد ة. هذه بعض ا واصفات ال ينبغي توافرها ا فهرس وهـي الـ عله قمينا مارسة هذا ا يدان الذي يقتضي حدا أد من علم ا خطوطات والباليوغرافيا أو علم ا طوط، بالإضافة إ ثقافة طوطية و ربة كافية وتكوين عام.

ولنتسـاءل أخـ ا: هـل كن اقتراح بطاقة وذجيـة لفهرسة ا خطوط العر تأخذ الاعتبار كـل ا عطيات العلمية والتقنية ا ديثة قبل أن دد مفهـوم الفهرسـة ديـدا ائيا مع عليه العلماء وا ختصون و ظى بقبول كل ا هتم با خطوطات يع ا راكز وا كتبات العربية؟

إن الفهرسـة كمـا هو معلوم جزء من علم ا خطوطـات وهـذا الأخـ عبارة عن عدة علوم كالـبحث تـاريخ ا كتبات وحياة النساخ و تـأريخ ا خطوطـات، و مصادر ا موعات و

وضـع الكشـافات والفهارس وما إ ذلك. وقد يلاحـظ ا تتبع لفهارس ا خطوطات   العا العر أن بعـض الفهارس ذات الا اه التفصيلي قد ضمنها أصحا ا بعض ا واصفات ال قد تبتعد عن الفهرسة ال تقصد إ التعريف با خطوط تعريفا علميا نسبيا يفيـد الباحث وا قق منهم على وجه ا صوص. فالإشارة إ مصدر ا خطوط مثلا هي من اختصاص الـباحث   تـاريخ ا خطوطات الذي يهتم به ا عـاهد العلمية ا اصة بالتراث ا خطوط. وعملية ا قابلة بـ النسخ ا طية لا تدخل   مهمة ا فهرس بقدر ما تدخل   اختصاص مؤرخ النصوص وا قق العلمي على السواء. فلا ينبغي للمفهرس الذي يضع فهرسـا مفصـلا لـلمخطوط أن ل   ل علماء ا خطوطـات وا هـتم بـ تاريخ النصـوص والفيـلولوجي على السواء. أعتقد أن هذه أشياء لا ل ا   أي عمل علمي يهدف بالدرجة الأو إ الضـبط البيبليوغرا   للمخطوطات وإ التعريف ا وتوثيق وجودها.

إن عـدم ديد مفهوم الفهرسة ديدا علميا هو الذي دعا إ الاختلاف الكب الذي نلاحظه   الفهـارس الـ وضعت حـ الآن سواء من طرف العرب أو من طرف ا ستشرق . إن ا مارس   ذه العمـلية   إطار ا خطوطات العربية، بدءا بالشوام الذين مارسوها   أوروبا منذ القرن السابع عشر إ ا دث مـن العـرب وا ستشرق ، قد فهرسوا ا خطوطات حسب اجتهادا م الشخصية، وآرائهم الفـردية، فمـنهم مـن وضع الكشافات (Index) واعتقد أنه وضع فهارس، ومنهم من بالغ   تصوره لعمـلية الفهرسـة فاقتحم، دون شعور،   ال علم ا خطوطات أو الكوديكولوجيا (Codicologie) أو ـال الـتحقيق العلمي ظنا منه أنه مارس الفهرسة العـلمية. كمـا نعتقد جازم أنه لا   ال لاقتراح بطاقـة وسطا لفهرسة ا خطوط، بدعوى أ ا لا هي مفصـلة ولا هـي تصـرة، على غرار ما صنعه أصـحاب القوائـم والأدلة. كما أنه لا   ال لقبول نوعـ من الفهرسة، فهرسة مطولة خاصة با عاهد العـلمية، وأخـرى تصـرة ارسـها ا كتبيون وا فهرسون للمخطوطات   ا كتبات الوطنية.

 ـذا الاعتـبار، لا كـن اقتراح أي وذج للـبطاقة الفهرسية قبل ديد مفهوم الفهرسة ديدا عـلميا يـتم   حـدوده، وفقا لشروطه، وصف ا خطوط العر .

وبعد فهذه فهارس خزانات الكتب ا غربية ال اكتظت بتراث العروبة وزخرت بآثار الإسلام وال تشـرف عـلى أ ـاد وعظمة هذه الدولة العربية الإسـلامية و كـي للأجيال ا اضرة وا قبلة قصة أسلافنا ا الدين، مشارقة ومغاربة، وتنقل م بصدق وأمانـة جهود الأسلاف وعبقريتهم وذلك ا   ويه اليـوم مـن طوطـات و ـا تفظ به من وثائق وسجلات.

ا وامش

1 - حققه اعتمادا على هذه النسخة اليتيمة الدكتور مد مرسـي ا و ونشره عام 1972، ط.ثانية1981. والنسخة الوحيدة فوظة زانة جامع القروي .

2 - ا عجب للمراكشي، ط1978. ص254-255.

3 - حققه أولا أدولف فور (A. Faure) عام 1958 وأعاد قيقه أ د التوفيق عام 1984.

4 - وضـع مد بن عبد ا العلوي موعة من ا ؤلفات طـبع جـلها با غرب كما اهتم مد بن عبد الر ن بالـتر ة حيـث أشرف على تر ة كتاب للاند (Lalande) علم الفلك.

5 - Voyages 1802.

6 - أك ا ستشرة اهتماما با خطوطات ا غربية

7 - يقـدر الباحـثون أن ا زانات ا اصة نطقة سوس با نوب ا غر تشمل ما يزيد على مائة ألف طوط.

8 - البكري كتاب ا غرب ط ا زائر، ص:132

9 - كـانت خـزانة ا ستنصر تضم أربعمائة الف طوط وبلغت فهارسها اربعا وأربع لدا حسب ما جاء نفح الطيب للمقري. ج:1، ص:184.

10 - ا عجب ا راكشي، ص:349، ط1978.

11 - نفس ا رجع، ص:348.

12 - نشـرت موعة من الآ اث لات مغربية باللغة الفرنسية عن ا دارس العتيقة ا غرب. انظر -مثلا- ـث ا ستشـرق Neigel الذي نشره لة العا الإسلامي، العدد 5 عام 1959 عن مدرسة ومكتبات أ ا عد.

13 - الكتا : ا كتبات الإسلامية: طوط ا كتبة العامة، ص:19.

14 - من مكارم الأخلاق وروح الإنصاف الاعتراف با ق لذويـه. إن هذه ا موعة الغنية ال أصبحت ا زانة ا لكية، قد إخراجها واستخراجها من ا روم و ع شتا ا وإحصاؤها بإيعاز وإشراف مؤرخ ا ملكة فضيلة الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور عضو الأكاد ية.

15 - عـدد ا خطوطـات ا شار إليها هذه الأ اث- الفهرسة 151 ثا.

16 - وضـعت ا ـزانة ا سنية فهرسا للكنانيش مستقلا سنش إليه.

17 - فهـارس طوطات ا زانة ا سنية حسب أرقامها عـلى الـرفوف: تصنيف مد ا نو : ا طبعة ا لكية 1983.

18 - مـد عـبد ا عنان: فهرسة قسم التاريخ وكتب الرحلات. مطبعة النجاح ا ديدة.1980.

19 - طـبعة ثانية مزيدة ومصححة بعناية د.أ د شوقي بينـبـ مدير ا زانة حاليا ستظهر قريبا. كما ستصدر ا ـزانة ذيـلا على هذا الفهرست يضم حوا مائ طوط التاريخ عثر عليها ا زانة ا ذكورة وذلك بإشراف أ د شوقي بينبـ ا دير ا ا للخزانة.

20 - دار الـنجاح ا ديدة. الدار البيضاء، 1982. يضم 256 صفحة.

21 - نشـ با ناسـبة إ أن وزارة الأوقاف ا غربية قد أعادت عام 1980 نشر أول كتاب تاريخ الطب العـر نشر عام 1876 بالفرنسية للوسيان لوكلا (L.Leclerc) وقد أ ز هذا العمل ا ليل بإيعاز من وزير الأوقـاف آنذاك الطبيب الدكتور أ د رمزي عضو أكاد ية ا ملكة حاليا.

22 - يوجد منه ثلاث نسخ: اثنتان منها أندلسية وثالثتهما كتانية ناقصة.

23 - يوجد منه ست نسخ.

24 - يوجد منه أربع نسخ.

25 - يوجد منه نسختان ت رقم 6332 و 6519.

26 - مطبعة دار ا عارف ا ديدة. الرباط 1983.

27 - انظر: مقدمة الفهرس، ص6.

28 - الفهرس الوصفي خطوطات ا نطق، وآداب البحث وا وسـيقى ونظـم الدولة والفنون ا ربية وجوامع العلوم: مع مستدرك على ا لدين الثا والثالث: مد العر ا طا . الرباط 1985/ 1405.

29 - الفهـرس الوصفي خطوطات الكيمياء وتعب الرؤيا والعـلوم ا فية: تصنيف مد العر ا طا . الرباط 1986.

30 - أرجوزة الصنعة من نظم أ مدين مد بن مد ا نبهي رقمها: 4195.

31 - الفهرس الوصفي لعلوم القرآن الكر . الرباط 1987 . كان هذا آخر فهرس يصدره ا طا و يصدر شئ إ أن انتهت مهمته با زانة شتن 1994م.

32 - واصـلت ا زانة ا سنية فهرسة ا خطوطات حيث يوجـد الآن ت الطبع فهرس خاص بكتب الأدب يضم أكثر من سمائة طوط.

33 - فهـرس الكنانيش (السجلات الر ية) ا لد الأول: إعداد عمر عمور - الرباط 1983.

34 - تسـمية مغربية تقابلها كلمة "التذكرة" ا شرق كـتذكرة الصـفدي مـثلا. انظـر الزبيدي: "تاج العروس".

35 - أقـدم كناشـة معروفة لدينا تلكم الا وضعها عبد الر ن بن مد ا ادري الفاسي 818هـ. تعتـ هذه التذكرة مفقودة وقد احتفظ ببعض الشذرات منها كـل من "شرح دليل ا ات" مد العر الفاسي و "ا عيار" للونشريسي.

36 - ا نو : الكناشات ا غربية: لة "ا ناهل" العدد الثا 1975.

37 -انظر تقد الفهرس للعر ا طا ، ص:3و4.

38 - قسـم الوثـائق: ا ـلد الـثا - القسم الأول - ا راسـلات. تصنيف أمينة الناير وعمر عمور. ويزيد عدد الوثائق ا فوظة با زانة ا سنية عن مائة و س ألف وثيقة.

39 - فهارس ا زانة ا سنية: قسم الوثائق، ا لد الثا - القسم الثا - ا راسلات - تصنيف أمينة الناير.

40 - حولت إ ا زانة العامة عام 1959.

41 - أكـ خزانة خاصة ا غرب ا ديث خصصت ا جريدة السعادة مقالات متتابعة بقلم عدد من العلماء نذكـر مـنهم مد بوجندار الرباطي و مولاي عبد الـر ن بـن زيدان، انظر كذلك: عبد ا ا راري: "شذرات تار ية" ص167.

42 - فهرس ا زانة الصبيحية بسلا: تصنيف مد حجي. منشورات معهد ا خطوطات العربية. الكويت 1985 .

43 - فهـرس طوطـات مكتـبة عبد ا كنون. إعداد الأستاذ عبد الصمد العشاب. 1996م/1417هـ.

44 - حبسها صاحبها على طلبة العلم وهو على قيد ا ياة عام 1985.

45 - الفهـرس ا وجز خطوطات مؤسسة علال الفاسي: أربعـة أجزاء: تأليف عبد الر ن بن العر ا ريشي 1991-1997م. طـبعت الأجـزاء الثلاثة الأو طبعة الدار البيضاء وطبع ا زء الرابع والأخ طبعة الرسالة بالرباط.

46 - مقدمـة ا فهـرس ص5. موع طوطات ا زانة

2400 طوط.

47 - عـلى الـرغم من اشتغاله بالسياسة وزعامته لأقدم حزب سياسي با غرب، كان الأستاذ علال الفاسي من فطاحل العلماء الذين كانت م مشاركات عظيمة تكوين العلماء. له مؤلفات عديدة طبع الكث منها ولا يزال الكث منها ينتظر النشر. وقد كان علال الفاسي شـاعرا يـدا طبع ديوانه عدة لدات. و سنة 1977 ضمت إ مؤسسة علال الفاسي خزانة أحد الوجهاء ا ثقف وأحد رجال السياسة ا زين ا رحوم أ ـد بنا الذي كان سف ا ومديرا للمراسم ا لكية، تشمل ا خطوطات وا طبوعات معا، و تفهرس بعد.

48 - احـتفظت ا ـزانة ا سـنية بالرباط با طبوعات والدوريـات ونقـلت ا خطوطات إ خزانة القصر ا لكي راكش.

49 - بـلغت القيمة الإ الية ذه ا خطوطات 62595 در ا أي ما يزيد على ستة آلاف دولار.

50 - قسم كب منها آل إ ا زانة العامة بالرباط.

51 - لا تتجاوز عدد طوطا ا سة عشر طوطا.

52 - تبلغ تويا ا حوا الثلاثة آلاف طوط.

53 - هناك العديد من ا زانات ا اصة والغنية كن تعرفها مـن خلال مؤلفات ا ختار السوسي، خصوصا فيما يتعلق كتبات جنوب ا غرب، أو من خلال مقالات وأ ـاث كتـلكم ا نشرها مد حجي مثلا عن مكتـبات الصحراء ا غربية و مد زيان عن خزانة ب عبد ا بار بفجيج.

54 - يشـمل هـذا الصـنف كذلك فهارس طوطات ا كتـبات العامـة ا عاصـرة كا كتبة العامة بالرباط وا كتبة العامة بتطوان.

55 - يضـم هذا القسم كذلك ا موعات ا طية ا فوظة ا امعات العصرية ا غربية.

56 - نذكر منها:

1 - لائحـة ا خطوطـات ا وجودة زانة ا امع الكب كناس 1972 تضم زهاء 500 طوط.

2 - لائحـة ا خطوطات ا وجودة زانة ا سجد الأعظم بتازة 1973 تضم زهاء 700 طوط.

3 - لائحة ا خطوطات ا وجودة زانة الإمام علي بتارودانت 1973 تضم 166 طوطا.

4 - دليـل خزانة ا سجد العتيق بالصويرة 1969 تضم زهاء 300 طوط.

هذه اللوائح، وغ ها، متعلقة ساجد أخرى وضعها الفقهـاء مقتصـرين فيها على العنوان واسم ا ؤلف فبعضـهم يضـيف أجزاء ا خطوطة، ويضيف البعض الآخر تاريخ النسخ، إن وجد.

وإذا كـانت بعض ا ساجد قد احـتفظت جموعا ا طية إ اليوم، فإن خزانات ا سـاجد ا توجد ا دن ا امعية العتيقة، كفاس ومـراكش، قـد نقلت تويا ا إ خزانات ا ساجد ا امعة: وهكذا فإن طوطات مسجد الأندلس بفاس و طوطـات مسـجد ا واس راكش قد نقلها خصوصـا بدايـة هـذا القرن إ خزا جامع القروي وابن يوسف. ونفس الظاهرة نلاحظها بالنسبة ـزانات ا دارس العتيقة خصوصا عندما انتهى الدور ا كانت تلعبه من حيث إيواء الآفاقي الذين أصبحوا يستغنون عن السكن ا، فنقلت موعا ا إ خزانات ا سـاجد ا امعة ا ذكورة فأصبح دورها اليوم أثريا وفـنيا وتار يا. وأخ ا فإن طوطات ا امع الكب بالرباط قد نقلت إ ا كتبة العامة بالرباط، و موعة ا سجد الأعظم بتطوان إ ا كتبة العامة بنفس ا دينة.

57 - يقول: يوسف أسعد داغر:

"إن ا ستشـرق الفرنسي كانوا السباق إ وضع

الفهـارس المنهجية لكتبات شمال افريقيا" :انظر: دليل الأعارب: بيروت 1947 ص89.

58 - كان قبل هذا مديرا لمدرسة تلمسان بالجزائر.

59 - 1. Catalogue des livres arabes de la Bibliothèque de la Qarawiyyin: Fès 1917/1335.

من المعلوم أن أول قائمة لمخطوطات القرويين هي التي نشرها روني باسـيه (René Basset) بعنوان: "Les manuscrits de deux Bibliothèques de Fès" (Qarawiyyin et Rcif) Bulletin de correspondance africaine, 1883.

كما نشرت قوائم أخرى بعد ذلك نذكر منها:

1 - فهـرس نـوادر خزانة القرويين: محمد العابد الفاسـي: مجلة معهد المخطوطات: المجلد 5 عام 1959.

2 - قائمـة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة بمكتـبة جامعة القرويين: وزارة التهذيب الوطني والشبيبة والرياضة 1960.

4 - J. schacht- sur quelques manuscrits de la Bibliothèque de la mosquée d'Al Qarawiyyin à Fès: Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal: Paris. 1962.

60 - فهرس مخطوطات خزانة القرويين (1979-1989) محمد الفاسي الفهري.

61 - يقول محمد الفاسي في المقدمة: "إن خزانة القرويين تحتوي على جميع الفنون التي ألف فيها المسلمون، مع مكانة خاصة للقرآن والحديث والعلوم الشرعية. ص32.

62 - مقدمـة الفهـرس، ص34. يذكـرنا هذا الفهرس بالفهـرس الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس (Callimacus) في القـرن الـثالث قـبل الميلاد لخزانة الإسـكندرية الـتي كـان قـيما عـليها. قد توسع كالـيماخوس وأطـنب في الحديـث عن الفلاسفة والمفكـرين أصحاب التآليف المحفوظة بالخزانة، الشئ الـذي جعـل المحدثين يعتبرون الفهرس تاريخا للفكر اليوناني.

63 - الجزء الرابع من الفهرس، ص393. إن محمد العابد الفاسي مؤلف هذا الفهرس قد وضع كتابا عام 1960 بمناسـبة مرور 1100 سنة على بناء القرويين سماه: المكتـبة العلمية: تحدث فيه عن تاريخ هذه الخزانة منذ تأسيسـها إلى اليـوم ذاكـرا أهم وأقدم مخطوطاتها كالمصـحف الكوفي المكتوب على رق الغزال والذي يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الثالث الهجري.

64 - فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف، الصديق بلعربي: دار الغرب الإسلامي بيروت 1414-1994.

65 - مقدمة الفهرس. أقدم مخطوط نسخ في القرن الخامس الهجري.

66 - في عام 1983 وضع الصديق بلعربي فهرسا مختصرا للخزانة سماه: "الفهرست المختصر لخزانة ابن يوسف بمـراكش اقتصـر فيه على العنوان واسم شهرة مؤلفه أولقبه. نشرته كلية آداب مراكش.

67 - مخطوطات كلية الآداب والعلوم الإنسانية: الرباط سنة 1980 مطبوع بواسطة آلة الاستنساخ ويقع في 112 صفحة من الحجم الكبير. وقد سبق للسيدة فرحات أن نشرت هذه القائمة تباعا في فترات مختلفة في مجلة كلية آداب الرباط بين سنة 1980 وسنة 1982.

68 - آل إليها، بعد الاستقلال، كثير من خزانات الساسة والوجهـاء والـوزراء مـثل الاجلاوي باشا مراكش والمقري الصدر الأعظم والحجوي وزير العدل والشيخ عبد الحي الكتاني وآخرين.

69 - يضـم الفهـرس أكـثر مـن 500 مخطـوط وعنوانـه: Les Manuscrits arabes de Rabat : Paris E. Leroux 1921

70 - يعتبر هذا الفهرس الثالث من نوعه بعد فهرس A. Bell و Maillard لـلقرويين، بالنسـبة لمخطوطات المسـجد الكـبير بطنجـة، الـذي نشره في مجـلة

العـالـم الإسلامـي عدد 35 عام 1917 بعنوان:

"La Bibliothéque de la grande mosquée de Tanger in : R.M.M.

71 - ا خطوطـات العربية ا فوظة با زانة العامة برباط الفتح: القسم الثا . باريز ا زء الأول 1954. ا زء الثا 1958. وصف زهاء 2300 طوط.

72 - فهرس ا خطوطات العربية ا فوظة ا زانة العامة للكـتب والوثـائق با غـرب: القسم الثالث، الرباط 1973.

73 - فهرس ا خطوطات ا فوظة ا زانة العامة بالرباط. قسـم حرف الكاف. ا زء الأول. مرقونة 132 ورقـة عام 1974 ويرمز حرف الكاف إ موعة الشـيخ عـبد ا ي الكتا ، ويبقى ا زء الأعظم من ا زانة غ مفهرس. وقد أخ الأستاذ أ د التوفيق مدير ا كتبة أن مصلحة الفهرسة ستصدر قريبا جزئ آخرين من هذه الفهارس.

74 - فهرس طوطات خزانة تطوان: قسم القرآن وعلومه. إعداد ا هدي الدل و و مد بوخبزة. تطوان 1987، 236 صفحة.

75 - خزانة زاوية أ ا عد مليئة با خطوطات وا صاحف والظهائر وا راسلات السلطانية والكناشات وليس ا قوائم تعرف ا وبعددها الذي يبدو هائلا.

76 - لائحـة طوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت: مـ د ا ـنو : ا زء الأول. 1973 ا زء الثا . 1974 مرقونة.

77 - دليـل طوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت - الرباط. وزارة الأوقاف 1985- 221 صفحة.

78 - رقمه كتبة الزاوية 245 - ونسخة أخرى فوظة ا كتـبة الوطـنية بباريز ت رقم 4725. أقدم طوط فوظ ذه ا زانة نسخ عام 421 هـ على رق الغزال ط أندلسي.

79 - مد ا نو : لة تطوان عدد 8 سنة 1963 - ص 97 - 117.

80 - لائحة ا خطوطات ا وجودة بزاوية تنغملت بإقليم ب ملال: وزارة الأوقاف 1973.

81 - تربو على ا ائة قائمة.

82 - Index général des manuscrits arabes musulmans de G. Vajda. La Bibliothèque Nationale de Paris. Paris 1953.

83 - تطـلق هـذه الكـلمة كذلك على لائحة الكتب ا وجودة مكتبة ارية أو قائمة كتب دار من دور النشر.

84 - Catalogue des manuscrits arabes, Première Partie. Manuscrits Chrétiens par Gérard Troupeau.
- Tome I et II. Paris 1972 et 1974.
- Catalogue des manuscrits arabes. Deuxième Partie. Manuscrits musulmans.
- Tome II 1978. par G. Vajda et Y. Sauvan.
- Tome III Paris 1985. par Vajda et Sauvan
- Tome IV Paris 1985 par Y. Sauvan.
- Tome V Paris 1995 par Y. Sauvan et Marie Geneviéve Balty-Guesdon.